

• ليس شيء أحب إلى الله من قطرتين (...) قطرة دموع من خشية الله وقطرة دم تهراق في سبيل الله (الترمذي)

• لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع (رواه الترمذي)
• (من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: رجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه) (متفق عليه)

نعم، نؤمن بالقرآن الكريم والسنة ونحبهما لكن استفحال التوجه المادي وتمكن الدنيا من القلوب أفقدنا الرشد فتصلبت المشاعر وجفت المآقي... فينا من يبكي من شدة الفرح أو لدغة الحزن، فينا من يبكي من فرط اللذة أو الألم... هذه أمور يشترك فيها الناس فأين البكاء من خشية الله تعالى الذي لا يحسنه إلا المؤمنون؟

كيف لا يذرف المؤمن الدموع إذا خلا بنفسه وتفكر في حاله؟ ها هي نعم الله تعالى تحيط به من كل جانب طاهرة وباطنة، والعناية الإلهية تكلؤه بينما هو غافل عنها، يستمتع بالنعمة وينسى المنعم، بل يبذل النعمة في معصية المنعم. ينظر فيرى نفسه سابحاً في لجة من العطايا الربانية والآلاء السماوية، وهو مقصر في حق الله تعالى، فيتذكر قول الله عز وجل: (أَلَمْ نَكُنْ مِنْ قَبْلِهِ لَاحِقِينَ) (الزمر/56)، فالجدير به أن يبكي لعل دموعه تطفئ ناراً تلظى تتربص به.

يخلو المؤمن بنفسه في محرابه أو اعتكافه أو زاويته المنفردة ويذكر مصيره: أليس أمامه قبر سيؤويه؟ (وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) (البقرة/281)

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْزِعُوا مِنَ الرِّزْقِ ذِكْرًا مِمَّنْ قَبِلَ أَنْ يَأْتِيَهُ يَوْمَ لَا يَبِيعُ فِيهِ وَلَا خُلَاةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ) (البقرة/254)

فكيف لا يبكي من هذا حاله؟ أم كيف يستمر ما عليه دنيانا من تغافل عن الآخرة وانخراط في حياة الشهوات والغرائز واللعب واللهو؟

ألم يأن للمؤمنين أن يتحرروا من سطوة الإعلام الذي حول الوجود إلى ساحة للغناء والرقص والصحك والقمار والتفاهات؟

ذلك هو بيت القصيد.... لو خشعت القلوب لانهمرت العيون بالعبرات بكاء على النفس الأمارة بالسوء وخوفاً من الجليل وطمعاً في جنة لا يدخلها (إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) (الشعراء/89)

ومشكلة القلب والعين مشكلة تربية، وقد قال بعض الصالحين، "عوّدوا أعينكم البكاء وقلوبكم الخشية".

إنّ البكاء الذي وراءه إيمان وسيلة تربوية فعالة، فانظر في قلبك أيها المؤمن أفیه خشية وخشوع وتعظيم ۞ وتأنيب للنفس، وانظر في طرفك الجافّ وعوّد دموعاً صادقة تثقل ميزانك يوم المعاد والحساب والجزاء، وعلّم كل هذا أبنائك وطلابك فإنه من أنجح وسائل الاستقامة، وإياك والغفلة فإنها تجارة ضعيفة.